

اللغة والتفكير المستنير

أ. د. محمود أحمد السيّد (*)

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرّف وظائف اللغة عامة، ووظيفة التفكير خاصة، وأن نقف على تربية التفكير وصولاً إلى التفكير الإبداعي والتفكير المستنير.

أولاً - وظائف اللغة:

طالما أشار الباحثون في اللغة إلى أن ثمة وظائف ثلاثاً لها، تتمثل في التعرف والتعبير والنداء، أو في الفكر والتعبير والتواصل، وإن كان المرابي والفيلسوف الأمريكي (جون ديوي) يرى أن التعبير ما هو إلا ضرب من التواصل. وطالما وقف نفر من الباحثين على وظيفة التواصل على أنها الوظيفة الأساسية والرئيسة للغة، فوضّحوا أركان التواصل، وكيفية تكوين الرسالة لدى المرسل كاتباً كان أو متحدثاً، وكيفية تحليلها لدى المستقبل قارئاً كان أو مستمعاً، وأبانوا الصعوبات التي تحدث بين الطرفين.

وثمة من الباحثين من أشار إلى ست وظائف للغة تتجلى فيما يلي^(١):

١ - الوظيفة الانفعالية *Emotive*: وهي التي يعبرُ فيها المرء عن مشاعره

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) Sebook, T.A: Style in language, Wiley and son N.Y P 350-347.

وعواطفه وأفكاره مستخدماً الرموز اللغوية في نقل تلك المشاعر
والعواطف والآراء.

٢- الوظيفة التأثيرية *Conative*: وهي التي يهدف الكاتب أو المتحدث من
ورائها إلى التأثير في عقول الآخرين المستقبليين لاعتناق مبدأ، أو تحقيق
رغبة، أو العدول عن ممارسة عمل وتجنبه... إلخ.

٣- الوظيفة النسبية *Referential*: وهي التي يمارس فيها المرسل اللغة في
ضوء المجموعة المستهدفة، فيكيّف لغته وفقاً لمستوياتها الثقافية، ويغيّر
في أساليبه وطرائقه تحقيقاً للأهداف المتبتغة.

٤- الوظيفة الـ «ماورا لغوية» *Metalingual*: وهي التي لا تقف على ما بين
السطور، وإنما ترمي إلى تعرّف ما وراء السطور وإدراك الغايات
البعيدة التي يرمي إليها الكاتبون أو المتحدثون.

٥- الوظيفة الشعرية *Poetic*: وهي التي تركز على جمالية الرسالة اللغوية
مبنى ومعنى بغية إثارة إعجاب القارئ أو المستمع ببعض مواطن
الجمال فيما ينقل إليه.

٦- الوظيفة الاستمرارية *Phatic*: وهي التي تعنى بجعل الصلة مستمرة
بين المرسل والمستقبل من جهة، وبين الأجداد والآباء والأبناء
والأحفاد ماضياً وحاضراً ومستقبلاً من جهة أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن في ترتيب هذه الوظائف من حيث الأهمية ترتيباً
تنازلياً صعوبة، لأن ثمة ارتباطاً بينها يتعذر فصله، فالتعبير كما يرى الفيلسوف
(جون ديوي) ما هو إلا ضرب من التواصل كما سبقت الإشارة، «فاللغة أداة
اجتماعية وسبيل للتفاهم يشارك الفرد بوساطتها الآخرين في مشاعرهم

وأفكارهم، وحين ينظر إليها على أنها وسيلة المرء للحصول على المعلومات أو عرض ما تعلمه فقط فإنه يفقد هدفها الاجتماعي»^(٢).

ومهما يكن من أمر النظر إلى أهمية كل وظيفة من وظائف اللغة، فإن وظيفة التعرف أو التفكير تجيء في طليعة هذه الوظائف، إذ لا يمكننا أن نتصور لغة من غير فكر، ولا فكراً من غير لغة.

ثانياً - التفكير جوهر اللغة:

لا يمكن الفصل بأي صورة من الصور بين اللغة والفكر، إذ لا معنى لفكر من غير لغة، ولا للغة من غير فكر، وكان الدكتور طه حسين في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» قد أوضح الصلة بين الفكر واللغة عندما قال «نحن نشعر بوجودنا وبحاجتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر، ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير، ونحن لا نفكر في الهواء، ولا نستطيع أن نفرض الأشياء على أنفسنا إلا مصورة في هذه الألفاظ التي نقدّرها ونديرها في رؤوسنا، ونُظهر منها للناس ما نريد، ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد، فنحن نفكر باللغة. ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعي فحسب، وإنما هي أداة للتفكير والحس والشعور لدى الأفراد من حيث هم أفراد أيضاً»^(٣).

ويجيء السؤال: هل يأتي الفكر قبل اللغة أم أن اللغة تسبق الفكر؟ إن الفيلسوف الإنجليزي «جون لوك» يرى أن الفكر ينشأ أولاً ثم تأتي اللغة بعد ذلك لتجسّده، في حين يرى الفيلسوف الفرنسي «كوندباك» أن عملية

(٢) الدكتور محمد ناصر - قراءات في الفكر التربوي - وكالة المطبوعات - الكويت ١٩٧٧ ص ٦٠٥.

(٣) الدكتور طه حسين - مستقبل الثقافة في مصر - مطبعة المعارف ومكبتها - القاهرة ١٩٣٨.

التفكير نفسها مستحيلة من غير اللغة ورموزها، إذ لا معرفة من غير تحليل، ولا تحليل من غير رموز لفظية»^(٤).

وهذا ما كان قد أشار إليه عالم النفس الروسي «فيجوتسكي» من قبل في كتابه «علم نفس اللغة»^(٥) عندما نبّه على الارتباط الوثيق بين الفكر واللغة، إذ إن الكلمة الخالية من المعنى ليست إلا صوتاً أجوف، ولا تعدّ كلمة، ومعنى الكلمة ليس إلا تعميماً أو مفهوماً، والتعميم والمفهوم هما من أكثر وظائف الفكر خصوصية، وإن علاقة الفكر بالكلمة هي أولاً وقبل كل شيء عملية عقلية، وليست شيئاً محسوساً، فهي انتقال وسير من الفكر إلى الكلمة، ومن ثم انتقال من الكلمة إلى الفكر الذي تحمله في الوقت نفسه.

وطالما توجّهت الأنظار إلى تعليم التفكير على أنه من الأهداف التربوية الأساسية في عالمنا المعاصر، وأنه لا بدّ للمرء حتى يكون مواكباً لروح العصر من أن يتزوّد بمهاراته، إلا أن اكتساب تلك المهارات يحتاج إلى تدريب ومران وممارسة لأن التفكير ما هو إلا المعالجة العقلية للمدخلات الحسية بهدف تكوين الأفكار من أجل إدراك المثيرات الحسية والحكم عليها، فإذا لم يكن المرء قادراً على الوعي والتخطيط لحل مشكلاته كان ثمة نقص في تفكيره، ذلك لأن التفكير عملية عقلية معرفية ووجدانية عليا تتمثل في التذكر والتجريد والتعميم والفرز والتمييز والمقارنة والاستدلال، كما تتمثل في الإدراك والإحساس والتخيّل.

(٤) الدكتور زكي نجيب محمود- تجديد الفكر العربي- دار الشروق- الطبعة الثانية- بيروت ١٩٧٣ ص ٢١٠.

(٥) Vigotsky. L.S: «Thought and speech»- in saporta sol «psycho- linguistics » holt, Rinehart 1966.

وإذا كانت المهارة تُعرّف بأنها الأداء المتقن السريع والقائم على الفهم وعلى الاقتصاد في الوقت والمجهود معاً، فإنها قابلة للملاحظة والقياس. «والمهارة في التفكير مهارة واسعة مثل مهارة الصناعات الخشبية، فهي تتضمن معرفة ماذا ستفعل؟ ومتى تفعله؟ وكيف؟ وما الأدوات اللازمة؟ وما النتائج؟ وما الذي ينبغي أخذه بالاهتمام؟ إنها أكثر من معرفة قواعد علم المنطق أو تعلم كيف تتحاشى الأخطاء المنطقية، إنها تولي اهتماماً كبيراً للإدراك والقدرة على الفهم وتوجيه الانتباه، إنها مسألة استكشاف للخبرة، وتطبيق للمعرفة، وهي معرفة كيفية التعامل مع المواقف، وخواطر المرء وأفكار الآخرين، كما أنها تشمل على التخطيط، واتخاذ القرار، والبحث عن الدليل، والتخمين والابتكار..»^(٦).

وللتفكير أنواع متعددة، فهناك التفكير الناقد، والتفكير التأملي، والتفكير العلمي، والتفكير الرياضي، والتفكير المعرفي، وما فوق المعرفي... إلخ. ولأنَّ للتفكير هذه الأهمية في الحياة، اتَّجه المربون إلى وضع البرامج والخطط لتعليمه وإكساب المتعلمين مهاراته.

١- تعليم التفكير:

تبدَّت مناحي تعليم التفكير في ثلاثة اتجاهات هي^(٧):

١- الاتجاه الأول يذهب إلى تعليم التفكير في مادة مستقلة.

(٦) إدوارد دي بونو- تعليم التفكير- ترجمة عادل عبد الكريم ياسين وآخرين- مؤسسة

الكويت للتقدم العلمي- الكويت ١٩٨٩ ص ٦٢.

(٧) محمد أنس أحمد عوض- فاعلية برنامج تدريسي قائم على طريقة حل المشكلات في تنمية

مهارات التفكير الإبداعي لدى طلبة الصف الأول الثانوي في محافظة دمشق من خلال

مادة البلاغة واتجاهاتهم نحوها - رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة الجنان - طرابلس

- لبنان ٢٠١٥ ص ١١٨.

٢- الاتجاه الثاني يرى تعليم التفكير من خلال المواد العلمية.

٣- الاتجاه الثالث يوفق بين الاتجاهين الأول والثاني.

ويرى مؤيدو الاتجاه الأول أن تدريس الفكر مستقلاً يكون أكثر نجاعة في تمكين المتعلم من اكتساب مهاراته، نظراً لما تخضع له العملية التعليمية التعليمية من تغذية راجعة تحقق الصقل والتطوير في أثناء التطبيق الفعلي لها، كما أن هذا التدريس يساعد المتعلم على التكيف مع المحيط الذي يتفاعل معه، ويفجر مكامن الإبداع عنده.

ويضع أنصار هذا الاتجاه شروطاً لنجاح موقفهم تتمثل في:

١- وعي المتعلمين بالمناسط والعمليات العقلية التي يقومون بتنفيذها.

٢- المحافظة على تركيز الانتباه في أثناء إجراء العملية التعليمية التعليمية.

٣- التدريب على اكتساب المهارة المستهدفة تدريباً متسلسلاً.

٤- توظيف التغذية الراجعة التطويرية في أثناء إجراء العملية التعليمية التعليمية.

٥- قيام المتعلمين بشرح ما يقومون بأدائه (حديث الذات).

٦- تهيئة الأجواء المناسبة والكافية لتطبيق المهارة وممارستها.

أما مؤيدو الاتجاه الثاني الداعي إلى تعليم التفكير من خلال المواد الدراسية

في المنهج التربوي فيرون أن لاتجاههم عدة مزايا منها:

١- انتقال أثر التعلم يكون قوياً عندما تتغلغل مهارات التفكير في كل

المقررات الدراسية.

٢- إيجاد الرابط المفيد بين مهارة التفكير ومجال تطبيقها في مختلف

المناسط اليومية.

٣- تمكين المتعلمين من التطبيق بطريقة سهلة وميسرة وواضحة.

٤- مساعدة المتعلمين في الاعتماد على أنفسهم.

وثمة نماذج وضعت في ضوء هذا الاتجاه، منها النموذج الذي وضعه (روبرت شوارتز) عن كيفية تدريس «دروس الدمج: *Infusion Lessons*»،
ويسير تنفيذ الدرس على النحو التالي:

- التقديم للدرس

- العرض

- التفكير النشط

- التفكير في التفكير

- تطبيق التفكير

- تقويم الأداء

وأهم النماذج التدريسية الاندماجية:

- استراتيجية حل المشكلات.

- استراتيجية خريطة المفاهيم لأوزابل.

- الطريقة الكشفية لبرونر.

- طريقة دائرة التعلم لجان بياجه.

- النموذج الاستقرائي لهيلداتابا.

ويرى مؤيدو الاتجاه الثالث وهو الاتجاه التوفيقي الذي يذهب إلى أن يعلم التفكير تعليماً مستقلاً على أن يأخذ منحى تكاملياً مع محتوى المواد الدراسية المقررة، ويمكن أن تعلم مهارات التفكير تعليماً مباشراً قبل أن تطبق في محتوى المواد الدراسية، ويجري المزج بين الاتجاهين السابقين بحيث تتوفر برامج

مستقلة للتفكير تمكّن المعلمين من إدراك العلاقات بين الخطوات المختلفة في عملية التفكير من خلال محتوى المواد الدراسية، على أن يدرّب المعلمون على كيفية استخدام مهارات التفكير التي يحتاج إليها المتعلمون، وكيفية التخطيط الواعي والفعال والمبدع لتعلم تلك المهارات حتى يعملوا على تدريبهم على تحمل المسؤولية في دمج مهارات التفكير في ممارساتهم اليومية.

وبعد عرض هذه الاتجاهات الثلاثة يرد السؤال الآتي:

أيُّ اتجاه من هذه الاتجاهات الثلاثة أفعل في تعليم التفكير من غيره؟

الواقع أنّ الإجابة عن هذا السؤال تتطلب تطبيق التجارب العلمية المنضبطة على مدخلات كل اتجاه والموازنة بين عمليات التطبيق في ضوء استخدام الأدوات القياسية الخاضعة للتحكيم والتحقق من صدقها وثباتها، ذلك لأن التجربة أكبر برهان على تعرّف الفعالية النسبية لهذه الاتجاهات في إكساب المتعلمين مهارات التفكير.

ولقد أثبتت التجارب التي أجريت في بعض الدول المتقدمة أن ثمة فاعلية لكل اتجاه من هذه الاتجاهات في تنمية التفكير، سواءً أكان تعليم التفكير مهارة مستقلة، أم كان مصوغاً في برامج خاصة لتعلم التفكير، أو متضمناً في المواد الدراسية المختلفة.

بيد أن تربيتنا العربية تفتقر إلى هذا النوع من التجارب، إذ ما يزال هذا الميدان في أمس الحاجة إلى إجراء الدراسات العلمية المبنية على التجارب التي تتوفر فيها شروط البحث العلمي بغية إغناء هذا المجال المهم في تكوين الفرد البناء والفعال في تنمية مجتمعه.

٣- التفكير الإبداعي

«ليس الإبداع قدرة واحدة، ولكنه مكوّن من مجموعة من القدرات منها الطلاقة والمرونة والأصالة، والقدرة على الإحساس بالمشكلات وتحديدتها، والتحرر من الجمود التقليدي في التفكير من أجل الوصول إلى حلول فريدة»^(٨).
أما الطلاقة فإنها تتجلى في أنواع متعددة منها:

١- الطلاقة اللفظية: وتتبدى في اللغة المنطوقة، وتقاس بسرعة

توليد الكلمات وإنتاجها في ضوء شروط معينة.

٢- طلاقة الأفكار: وتتمثل في توليد عدد كبير من الرؤى العقلية في

موقف ما، وتعرّف كمّ الاستجابات التي يجري توليدها، كما

تتجلى في وضع قائمة بأكثر عدد ممكن من المثيرات ضمن

تصنيفات معينة في ضوء خصائصها.

٣- الطلاقة التعبيرية: وهي القدرة على التعبير عن الأفكار بسهولة،

ووضع الكلمات في أكبر عدد ممكن من الجمل والعبارات.

٤- طلاقة الأشكال: وتتبدى في القدرة على الرسم السريع لعدد من

الأمثلة والتفصيلات.

وأما المرونة فإنها تعني القدرة على إيراد عدد كبير من التعريفات والتشعبات

في الفكرة، وتبادلها داخلياً في الذات، ثم إخراجها وتطويرها لإنتاج فكرة جديدة

فهي «إعادة البناء السريع للمعلومات وفقاً لمتطلبات الحالات المستجدة، وتغيير

شكل الصياغة عندما لا يبرهن الشكل السابق على فعاليته»^(٩).

(٨) الدكتور فتحي جروان- الإبداع- دار الفكر- عمان- ٢٠١٣ ص ٣٠.

(٩) ألكسندرو روشكا- الإبداع العام والخاص- ترجمة غسان أبو الفخر- سلسلة عالم

المعرفة- العدد ١٤٤- الكويت ص ٥٩.

وتشتمل المرونة على عدة قدرات تتمثل في تغيير أسلوب التفكير، وتغيير الحالة الذهنية بتغيير المواقف، والتفكير بالبدائل وإنتاج الاحتمالات^(١٠).
وأما الأصالة فتعني القدرة على إنتاج أفكار جديدة أو أساليب جديدة بحيث تكون ثمة إضافة جديدة إن في المعنى أو في الأسلوب، وقد يكون المعنى مطروحاً من قبل ولكنه أخرج إخراجاً جديداً، ومن هنا تعدّ الجدة أصالة لا اتباعاً، وهكذا تنبذ الأصالة في الابتعاد عن المؤلف، وعدم تكرار أفكار الآخرين.

٣- من الفكر وإليه:

تبدأ اللغة من الفكر وتنتهي إليه، إذ ما من متحدث أو كاتب إلا وهو ينطلق من الفكر في تركيبه للرسالة اللغوية التي يودّ نقلها إلى الآخرين، قرّاء كانوا أو مستمعين، فالمتكلم أو الكاتب لا يتكلم أو يكتب إلا إذا تأثر بمؤثر خارجي أو داخلي، فيودّ التعبير عما شعر به تجاه ذلك المؤثر الذي يدفعه للتعبير. وهنا يلجأ إلى اختيار بعض الفكر التي ترد على ذهنه، فيصوغ المعاني التي تحيّرهما في قوالب لغوية دون غيرها، ثم يقوم الدماغ بإصدار أوامره إلى أجهزة النطق كي تؤدي الحركات المعينة اللازمة لنطق هذه القوالب اللغوية النحوية والصوتية، وبذلك يكون المرسل قد عمل على تركيب الرسالة انطلاقاً من الفكر أي من المعاني المتخيّرة مروراً باختيار البنى اللغوية والرموز اللفظية وانتهاء بإصدار الأصوات إذا كان المرسل متحدثاً.

أما المستقبل كاتباً كان أو مستمعاً فيعمل على تفكيك الرسالة، فإذا كان مستمعاً فإنه يعمل على حل رموز الرسالة اللغوية في ضوء تركيبها الصوتي والصرفي والنحوي وصولاً إلى المعنى الذي أراد المتكلم نقله إليه، وهذه العملية

(١٠) وليد العياصرة - مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات، ص ٩٠.

تجري داخل الدماغ، إذ إنه يحلّل الرسالة اللغوية التي صدرت عن المرسل في ضوء معرفته السابقة باللغة، وهذه المعرفة تساعده على توقعات معينة من حيث الأصوات، ومن ثم ينتقل إلى تحليل النظام النحوي وصولاً إلى المعاني^(١١). وأكدت بعض البحوث أن المستمع يسمع ما يتوقع أن يسمعه من الأنماط والصيغ، وتساعده على هذا التوقع معرفته بأصوات لغته وقواعدها، وبمعاني المفردات في لغته الأم.

وهكذا نجد أن انطلاق المرسل كان من الفكر، أي من اختيار بعض المعاني دون بعضها الآخر، وأن تركيبه للرسالة انتقل من المجرد إلى المحسوس، أي من المعنى، والمعنى مجرد، إلى الأصوات، والأصوات محسوسة، في حين أن المستقبل في تحليله للرسالة انتقل من المحسوس أي الأصوات وانتهى بالمجرد أي المعنى، فكان ثمة انتقال من الفكر لدى المرسل وانتهاء بالفكر لدى المستقبل.

٤ - الفكر المستنير:

غني عن البيان أن الفكر المستنير يتسم بسماة متعددة إن من حيث المبنى أو المعنى، إذ لا يمكن الفصل بينهما لأن ثمة علاقة ارتباطية تجمع بينهما، ويؤثر كل منهما في الآخر، ويتأثر به.

فالفكر المستنير من حيث المبنى هو الذي يتسم بوضوح الفكرة في ذهن المرسل كاتباً كان أو متحدثاً لأن الوضوح يؤدي إلى الوضوح، في حين أن الأفكار المشوشة والمضطربة والقلقة لا تنقل إلى الآخر إلا التشويش والفوضى والاضطراب، وقد يكون السبب في عدم وضوح المعنى في الذهن راجعاً إلى

(١١) الدكتور محمود أحمد السيد - في طرائق تدريس اللغة العربية - ص ٤١.

قلة الرصيد اللفظي عند المرسل، فهو لا يتمكن من اختيار المفردات الدالة والمعبرة عن الفكرة، وقد يكون السبب راجعاً إلى عدم اختيار الرموز اللفظية المعبرة عن المعنى، أو قد يكون لها معنى عند المرسل مختلف عما هو لدى المستقبل، وقد يكون غير مألوف عنده وبعيداً عن خبراته.

ويلجأ المرسل أحياناً إلى الإيجاز المخل في عرض أفكاره ظناً منه أن لدى المستقبل خبرة في الموضوع الذي يتحدث عنه في حين أن ثمة أموراً تحتاج إلى الشرح والتفصيل حتى يتمكن المستقبل من فهمها واستيعابها فهماً واضحاً واستيعاباً تاماً.

كما يلجأ إلى التعقيد الناجم عن استخدام التراكيب من حيث التقديم والتأخير والفصل بين الأمور المتلازمة، إذ قد يظن المرسل أن التلاعب في هذا المجال لا يؤثر في فهم الآخرين، ولكن على العكس من ذلك، فقد يؤدي طول الجمل أحياناً، والتقديم والتأخير أحياناً أخرى إلى اللبس والغموض وعدم الفهم المستنير للمعاني والفكر المراد إيصالها إلى المستقبل.

والفكر المستنير من حيث المعنى: هو ذلك الفكر الذي يغذي العقل والوجدان بالنافع والمفيد، مما ينعكس خصباً ونماءً على الفرد والمجتمع، ويعمل على بناء الفرد بناءً متوازناً ومتكاملاً ومتطوراً من جميع الوجوه جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً وعاطفياً وإنسانياً حتى يكون عضواً نافعاً في مجتمعه، وفعالاً في تطوره.

والفكر المستنير هو الذي ينأى عن الشحنات الانفعالية في الألفاظ والتراكيب المستخدمة، كما أن صاحب الرأي المستنير هو الذي يحترم الرأي الآخر، ويتقبله بكل رحابة صدر، انطلاقاً من أن الحقيقة نسبية ولا أحد يمتلكها، وانطلاقاً من أن رأي الآخر قد يكون مصيباً في حين أن رأيه قد يكون مخطئاً، وكما يقول الإمام

الشافعي «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصواب».

وإن صاحب الرأي المستنير يناقش أفكار الآخرين وآراءهم بكل موضوعية وروية وتأن، وفي منأى عن أي تحيز أو تعصب أو تحامل، انطلاقاً من مقولة (إن بارقة الحقيقة تظهر من مصادمة الأفكار شريطة تصافي القلوب وتعانقها، وتصافح الأكف وتراضها).

ونحن في عالمنا المعاصر في أمس الحاجة إلى هذا الفكر المستنير بعد أن انتشر الفكر التكفيري الظلامي المنافي لروح أمتنا، والمتنكر لقيمها ومثلها في الحق والخير والجمال، ورحم الله شاعر العروبة بدوي الجبل القائل:

لا تصلح الدنيا ويصلح أمرها إلا بفكر كالشعاع ضراح
وإذا كان غاندي قد حذر البشرية في الألفية الثالثة من علم بلا ضمير،
وسياسة بلا مبادئ، وتجارة بلا أخلاق، وتعليم بلا تربية، وعبادة بلا إيمان، فإن
الهوة بين كل جانب وآخر إنما مردها إلى غياب الفكر المستنير، هذا الفكر الذي
ينبغي لكل مجتمع أن يربي ناشئته عليه منذ نعومة الأظفار. فكم من جرائم
ارتكبت وترتكب بحق البشرية انتفى من عقول مرتكبيها المنطق والضمير!

ولو أن لدى هؤلاء المرتكبين ذرة من تربية على الفكر المستنير لما أقدموا
على ما أقدموا عليه من انتهاكات بحق القيم والأخلاق، ومن جرائم بحق
الوطن والإنسانية جمعاء، جرائم لم يعرف التاريخ لها مثيلاً.

ولمّا كان التفكير جوهر اللغة وأساسها كان التركيز على تربية التفكير
العقلاني القيمي من الأهمية بمكان، على أن تكون ثمة عناية بالمستويات العقلية
للتفكير كافة من تذکر وفهم واستنتاج واستيعاب وتطبيق وتحليل وتركيب
وتقويم، وعلى أن يكون ثمة تكامل بين جميع البنى والهاكل الاجتماعية التي

يحتك بها المتعلم ويتأثر بها، وتنسيق بينها في عملية البناء، آخذين بالحسبان أن التربية لا تُلقى على كاهل المدرسة وحدها، وإنما للأسرة الواعية دور، وللإعلام هو الآخر دور كبير وخطير، ولدور العبادة دور، وللمنتديات والجمعيات الأهلية والمجتمع المدني دور... إلخ.

فإذا تضافرت جهود هذه الجهات كافة، وأحست كل منها بمسؤولية الكلمة التي تستعملها في مجالات أدائها، على أن ذلك أمانة في أعناق الجميع من حملة الأقلام وغيرهم، كان الغذاء الفكري الذي يقدم للناس غنيًا مادام مستنداً إلى ثروة خلقية. ورحم الله أستاذنا الدكتور شكري فيصل الذي تساءل من قبل قائلًا: «هل يدرك كل الذين يقومون على دورياتنا في الوطن العربي خطر الساحة التي يتقدمون للعمل فيها، وضخامة الأثر الذي يخلفونه؟ أيدركون أنهم حين يتصدون لمثل هذا العمل الفكري الضخم إنما يتحكمون في غذاء الآلاف من الناس، غذائهم الفكري، وأن في أعناقهم أمانة الوفاء لهذه الآلاف وإيثارها بكل خير مفيد؟ أيفكر الذين يصدرون كثرة من المجلات عندنا في مدى ما يجب أن يتسلحوا به من غنى ثقافي وزاد فكري، وثروة خلقية تتيح لهم أن يكونوا أهلاً لحمل هذه الأمانة الثقيلة؟»^(١٢).

نرجو أن نكون أهلاً لحمل هذه الأمانة الثقيلة، وأن يتحقق أملنا في غدٍ أفضل، والمرء لا يحيا بغير رجاء، غدٍ ترفرف في أجوائه راية الفكر المستنير المبني على العقل والخلق، فيعيش الناس في سلام ومحبة ووثام، وينعمون فيه بالأمن والأمان، وسنظل متفائلين بانتصار الأمة على مختلف أفانين الغدر والعدوان، وستعود بمشيئة الله لممارسة دورها الحضاري على النحو الذي سطرته في غابر الأزمان. ■

(١٢) الدكتور شكري فيصل - الصحافة الأدبية - ص ٢٨.

المصادر والمراجع

- إدوارد دي بونو- تعليم التفكير- ترجمة عادل عبد الكريم ياسين وآخرين- مؤسسة الكويت للتقدم العلمي- الكويت ١٩٨٩.
- ألكسندرو روشكا- الإبداع العام والخاص- ترجمة غسان أبو الفخر- سلسلة عالم المعرفة- العدد ١٤٤- الكويت ١٩٩٠.
- الدكتور زكي نجيب محمود- تجديد الفكر العربي- دار الشروق- الطبعة الثانية- بيروت ١٩٧٣.
- الدكتور شكري فيصل- الصحافة الأدبية- معهد الدراسات العربية- القاهرة ١٩٦٠.
- الدكتور طه حسين- مستقبل الثقافة في مصر- مطبعة المعارف ومكبتها- القاهرة ١٩٣٨.
- الدكتور فتحي جروان- الإبداع- دار الفكر- عمان- ٢٠١٣.
- محمد أنيس أحمد عوض- فاعلية برنامج تدريسي قائم على طريقة حل المشكلات في تنمية مهارات التفكير لدى طلبة الصف الأول الثانوي في محافظة دمشق من خلال مادة البلاغة واتجاهاتهم نحوها- رسالة دكتوراه غير منشورة- جامعة الجنان- طرابلس- لبنان ٢٠١٥.
- الدكتور محمد ناصر- قراءات في الفكر التربوي- وكالة المطبوعات- الكويت ١٩٧٧.

- الدكتور محمود أحمد السيّد - في طرائق تدريس اللغة العربية - منشورات جامعة دمشق ٢٠١٣.
- وليد العياصرة - مهارات التفكير الإبداعي وحل المشكلات - الأردن - دار أسامة ٢٠١٣.
- *Sebeok, T.A: Style in language, Wiley and son N.Y.*
- *Vigotsky.L.S: (thought and speech)- in Saporta sol «Psycholinguistics» holt, Rinehart 1966.*

* * *